تطور الحركة الأدبية
في فرنسا الحديثة[1]

فرديناند برونتيير F. BRUNETIÈRE

١٨٩٤ — ١٩٠٦

للأستاذ خليل هنداوى

— ٣ —

فعول العوالم النفسية

إن علم النفس — في كلا العصرين المدرسى والابداعى — لم يصل إلى القول بأن كل شيء فى النفس الانسانية واضح جلى . وكورنيي وديكارت يؤمنان بهذا الوضوح . أما راسين ومدام لفايت وروسو فلا يؤمنون إيمانهما

يقول هرميون لأوريست :

— من قال لك ... إنني قلت لك إنني قتلت (بيروس) ولكن هذا ليس إلا جزءاً من نفسى الذى أبغضه وأريد نسيانه وأريد جزءاً آخر يقول عكس هذا

والأميرة (كلاف) لا تعرف ولا تريد أن تعرف لماذا لم تحب (كلاف) ولماذا أحبت (آخر) بدلا منه . إنها تناضل ولكنها لا تستطيع أن تفسر أسباب هذا النضال

أصحاب المدرسة الابداعية قد أحبوا الأهواء المضطربة ، وملأوا رواياتهم بالمشاعر المظلمة ، والنفوس التى يناقض بعضها بعضاً ، ولم يجهلوا أن كل شخص إنما هو عالم بذاته بل جملة عوالم مختلفة . ولكن هؤلاء كأولئك قد جربوا أن يعملوا من هذه العوالم عوالم عقلية حيث يمكن النفاذ بوضوح من الأعمال إلى الأسباب . وقد أعطوا أمثلة على ذلك أسلوبهم الذى يعبر — بنظام عن الفوضى — وبوضوح عن التشويش

وهكذا كان علم النفس فى المدرسة الاتباعية واضحاً لأنه يرى أن كل شيء يمر بالنفس ، وكل شيء فى النفس بالشعور . وبين المادتين — سواء تماكسا أو اتحدا — يمكن دائماً أن نجد مذهباً واضحاً قابلا للتحليل . ولكن هذه النظرية (الديكارتية) قد تحورت فى القرن الثامن عشر (إذ ليس الإنسان ما يريد أن يكونه ، أو ما تسمح له نفسه بأن يكون . فالمادة تعمل فيه وتؤثر فيه وهو يحتمل تأثير المناخ والبيئة ، وهو يخضع لجسده ولكل ما يؤثر فى جسده . وإن للمناخ والوسط تأثيراً كلياً وباستطاعتهما أن يغالبا الطبع الذاتى ، ناهيك بأن التأثيرات التى تأتى من الجسد هى حالات وصدف تفر من كل منطق ، ولقد تكون حياتنا الباطنة — فى كثير من مواطنها — خالية من العقل

فالوراثة التى جعل منها — زولا — قاعدة علم النفس تستطيع أن ترتب الحوادث النفسية على حوادث سابقة . وأصحاب هذا المذهب يخضعون التحليل العلمى للمنطق العقلى ، ويرجعون الحوادث النفسية لحالات عضوية خاضعة لنظم المادة . ولكن هذه المادية قد حطمت والتحليل العلمى قد توطد فكان صبيانياً !

وها هنا تظهر مبادئ علم النفس المدرسى التى ظن أنها تهدمت . فان بعض علماء ماوراء الطبيعة من الألمان — كشوبنهاور وهارتمان — جربوا بأن يقولوا : ان العالم لا يُقاد بالعقل ، وإنما يقاد بالإرادة دون ان تحسب حساب نفسها ، ودون أن تقلق لكونها حقة منطقية . ولقد كان لفلسفة « شوبنهاور » تأثير ذائع فى فرنسا حول سنة ١٨٨٠ وهى ولا ريب تمت بصلة الى علم ما وراء الطبيعة . ولكنها تعتمد فى كثير من أصولها على نظريات نفسية طبية .

فإن آثار العالم — شاركو — ١٨٧٠ — ١٨٩٠ تعمل على إثبات النظرية القائلة بأنه يمكن أن ينشأ فى العقل من موضوع واحد أفكار وإرادات مجهولة لا يعيها العقل الواعى ؛ ولكنها تؤثر فى الجسم تأثيراً أشد وأوسع مدى من تأثيره

والعالم — ريبو — بدرسه لأمراض الذاكرة والإرادة يثبت أن فينا — ذاكرات — لانعيها ولكنها تحيا فى أنفسنا منتحية بعيدة ، وباستطاعة داء ما أن يوقظها ويحييها . (وبطرس جانى) أقر بأنه يمكن فى الكائن الواحد أن تقيم نفوس متعددة ، كل نفس لها عالمها ، وكل نفس تظهر بدورها . والفلاسفة أنفسهم يغادرون العالم الواعى ويفتشون عن المسائل الكبرى فى عالم غير واعٍ حيث لا سلطة للعقل ولا للمنطق . والطبيب الكبير

(١) عن الأستاذ « دانيال مورنى »

(فرويد) انطلق إلى دراسة الغريزة الجنسية وقال : ان فينا كائنين ، كائناً طبيعياً يلائم طبيعتنا ، وكائناً سطحياً يأتى بتأثير التربية والمجتمع . وشعورنا لا يريد أن يعرف إلا الثانى ، ولكن الأول هو الذى يبقى قادراً قاهراً . وهو الذى يطلب إلينا فى أعماق أنفسنا حركة أو حلماً أو جنوناً أو جريمة . وهذا التحليل النفسى — فى عدم الوعى — لا يبقى مغلولاً فى درس الحالات الشاذة . والفيلسوف — برغسون — يجد أن الشعور أو الوعى إن هو إلا جزء من كوننا العقلى وليس له دور لتحليل شىء أو عمله أو تفهمه . دوره دور عملى ... وهو يوضح فى بعض الأحيان نقطة الأشياء التى يجب أن نعمل عليها ، والناحية من الفكر الذى يستطيع أن يعمل . ولكن عقلنا وشخصيتنا قد يفوقان هذا القسم غير الواعى . وعند برغسون وغيره من الفلاسفة يصبح غير الواعى شكلا من الحياة الروحية ، والينبوع الخفى العريض العميق حيث تجرى رقة حياتنا الواعية النطقية ... ونحو هذا الينبوع اتجه الرمزيون — منذ أعوام — والروائيون

الموضوعات كانت سبب نجاح (ابسن) وقد لا يكون فيها ما يغرى كثيراً ولكن فى (ابسن) شيئاً وعبقرية . فان أشخاصه فى الوقت الذى يعرفون فيه بوضوح ما ذا يريدون ، وعند ما يفهمون أنفسهم ، ويتفاهمون ما بينهم تراهم لا يحللون أنفسهم ، ولا يتناجون ما بينهم محللين أنفسهم كالأشخاص فى المسرح الدرمى والحساب الذى يجعلونه منهم يبدأ ثم ينتهى قصيراً . ولقد يخونون أنفسهم وقد تكون هذه الخيانة اندفاعية . وعملهم لا يظهر إلا لكى يعبر عن ضجرهم ، وكثيراً ما لا يفهمون أنفسهم ، ولا يفهمهم غيرهم . يشعرون بأنهم وحدهم ويحسون أنهم منقادون بما لا يُعرف نحو ما لا يُعرف فى خباية من الأسرار والحرقة مما لا يندى منه الرواية إلا قليلاً . ثم يأتى زمان يحسون فيه رموزاً — رموزاً لا أفكارا صافية ، ولكنها هادئة لا مضطربة . الحياة ليست خلاله منتظمة ولكنها معكوسة فيه كثيراً ، والفن أو عدم الفن يشدد تأثير العمق والأسرار

« يتبع » خليل شتارى

المؤثرات الأجنبية فى الأدب الفرنسى

لم تكن رواية تولستوى ودوستوفسكى رواية رمزية ولا مبهمة ولا رواية لاشعورية . على أنها فى بعض نواحيها تحمل طابع الثقافة الفرنسية المدرسية على أنها أثرت فى الطريقة التى جاءت بها الرمزية . فأشخاصها — ولا سيما أشخاص تولستوى — هم أقل اعتناء بالأفكار من المثل الأعلى ، وأقل ضجراً فى تحليل أنفسهم من أن يجدوا فى أنفسهم بساطة عميقة . ويظهر أنهم يجهدون النفوس ليتفوقوا على ذواتهم المفكرة المعقدة ليبلغوا ذاتاً بسيطة غريزية حيث يجدون سبب حياتهم . فعقلهم وإرادتهم المفكرة تعترضهما اندفاعات لذة عابرة يحتملانها بتوبيخ ولذة . هذه رواية نفوس ابتدائية أو وحى نفوس قد تكون كثيرة الدعوة إلى المثل الأعلى ، ولكنها عاجزة عن إيجاد مثلها الأعلى فى الثقافة العقلية

وسنالك تأثير (إبسن) ورواياته المسرحية ! ففى مسرحياته موضوعات شديدة عنيفة لأنه كتب فى بلد ذى تقاليد راسخة . وأخلاق مفرطة . عمل (ابسن) على تحرير الفرد من حالة خانقة ومن أنانية متسيطرة . أراد أن يحيا الانسان حياته فلا تكون المرأة عبدة للرجل ولا الأبناء عبيداً للآباء والأجداد . وهذه

النموذج

تأليف محمد جلال

رئيس قلم الترجمة بوزارة الزراعة
مدرس بمدرسة المعلمين العليا ومدرسة الفنون الملكية

يجد فيه الآباء والأمهات وسائل تكوين الأخلاق وتقويمها وطرق التربية الوطنية الاستقلالية والأخلاق والإرادة

ويجد فيه الأدباء الصراع بين القديم والحديث (مسرحية) وفلسفة الضحك ومثيرات الضحك والانفعالات النفسية ودراسات أدبية خاصة بالمتنبى ونوادر شوقى

ويجد فيه الناشئة فن الإمارة

يجب على كل من يريد تربية أولاده تربية صحيحة أن يقرأ هذا "النموذج"

الثمن خمسة وعشرون قرشاً صاغاً على ورق أبيض
واربعون قرشاً صاغاً على ورق كوشيه

يباع بمكتبة النهضة ومكتبة الاعتماد المصرية ومكتبة زيدان ومكتبة مصر